قابلها د. أسعد غانم

مؤلفة كتاب الوجه الاخر لإسرائيل

سوزان ناثان - تعيش في طمرة العربية وتتحدث من هناك

من جنوب أفريقيا

تقول سوزان ناثان في معرض حديثها عن سيرتها الذاتية: "جئت إلى إسرائيل من المملكة المتحدة عام ١٩٩٩ بعد طلاقي من زوجي وعمري ٥٦ سنة، ومنذ وصلت أسكن في مدينة طمرة الجليلية . أمر غير طبيعي بالنسبة لامرأة يهودية في السادسة والخمسين من عمرها، مطلقة واشكنازية، أن تعيش في بلدة فلسطينية داخل الدولة. لكن، وبسبب الأوضاع، من المستحيل بالنسبة لي أن أعيش في أي مكان آخر. كان والدي من جنوب إفريقيا، أما جدي وجدتي فكانا من أوروبا الشرقية، وقد هربا إلى جنوب إفريقيا تجنبا للمجازر. كانت أمي إنكليزية، وبذلك صارت لدي خلفية يهودية نمطية فيما يتعلق باللجوء والجنسيات المتداخلة والهويات المشوشة.

أول نشأتي، قضيت الكثير من الوقت في جنوب إفريقيا. كانت تجربة مزعجة إلى حد كبير أن أعيش في بلد يمارس حالة عزل محزنة، حتى في معظم الأمور الأساسية: فحين تتمشى في المنتزه مثلا، وترغب في الجلوس فوق أحد المقاعد، فإنه يتوجب عليك أن تبحث عن مقعد كتب عليه "للبيض فقط". وإذا أردت أن تأخذ الحافلة في طريق عودتك إلى البيت، فيجب أن تختار موقفا للبيض فقط. ويعتبر كل انحراف عن ذلك خطأ . مثلما حدث ذات يوم في " كيب تاون " ، عندما ركبت الحافلة، مصادفة، وكانت للسود فقط. وأنا أدرك الآن، عندما أسترجع تلك التجربة، أنني حتى سن الثانية عشرة، والسابعة عشرة، لم أكن قادرة على التمييز بين السود والبيض. وعندما دخلت الحافلة، فهمت فورا أن هناك خطأ كبيرا في ذلك المجتمع، وأنني لست جزءا من المجتمع الذي يقوم على التمييز. كان ذلك شبيها بما يحدث الآن في الضفة الغربية إلى حد كبير، لأنه إذا صدف وجود رجل أبيض يرغب في القيام بزيارة

أعتقد أن اتصالي الأوّلي بالمجتمع الإسرائيلي اليهودي كان نوعا من الإغاثة، بسبب الإحساس الهائل بالحرية من خلال وجودي هنا، وإدراكي أنني لم أعد أنتمي إلى أقلية. غمرني إحساس كبير بالقوة، وكيهودية، كما أظن، شعرت بذلك مع وصولي إلى إسرائيل، ومع انتهاء وجودي ضمن أقلية، ومع معرفتي أنني أنضم إلى مجتمع تم تصميمه لصالح حاجاتي. على أية حال، بدأت أشعر بوجود شيء مفقود في المجتمع الإسرائيلي اليهودي على كل المستويات، وبأنني بطريقة ما أصبحت مقطوعة الصلة بتعاليم اليهودية.

لمنطقة خاصة بالسود، فإن عليه أن يطلب تصريحا. وإذا كان هناك شخص أسود يحتاج إلى العمل في منطقة خاصة بالبيض، فإن عليه أن يكون حاصلا على تصريح. لذلك عمدت إلى اجتياز الطريق إلى مناطق السود ليلا بطريقة غير مشروعة. كان لدينا خادم في منزلنا تعوّد أن يقود السيارة بي، وكنت أختبئ في مؤخرة السيارة، بأن أستلقي على أرضيتها، ويقوم هو بتغطيتي ببطانية. كنا متعودين على الذهاب إلى مناطق السود لأنني أردت أن أتعرف على طبيعة الحياة في الطرف الآخر.

كان ذلك غير قانوني بشكل مطلق، ولو ضبطت وأنا أفعل ذلك، كنت سأتعرض لعقاب شديد. هذا في الواقع جعلني أطلع عن كثب على الحرمان والتمييز اللذين مورسا ضد السود في جنوب إفريقيا، لأنني جربت واقعهم بشكل حقيقي. لم أكن قط قادرة على فهم موضوع الهوية، وكان يبدو لي دائما، طيلة حياتي، أن الناس الذين يثيرون موضوع " هويتك ، كيف تشعر تجاه هويتك، ما هي هويتك؟ " إنما يرغبون في أن يكونوا قادرين على أن يضعوك في صندوق، وأن يضعوا عليك علامة. وأعتقد أن ذلك يقول عنهم أكثر بكثير مما يقول عني، لأنني طالما اعتقدت أن هويتي تكمن في كوني إنسانا، وبالتالي مواطنا في العالم، وهو السبب الذي يجعلني لا أنظر إلى نفسي وأقول .أنا يهودية. إنني أرى نفسي إنسانا صدف أن ولد كأنثى، وصدف أن حمل انتماء عرقيا صنّف كيهودي.

كان والدي جرّاحا شهيرا جدا، وكانت أمي ممرضة. كانت حياة والديّ بكاملها مكرسة للعناية بالآخرين. وقد تمت تنشئتي على الإيمان بأن كوني يهودية يعني أن عليّ أن أناضل من أجل المساواة داخل المجتمع، من أجل حماية الكرامة الإنسانية. وقد تم تلقيني أن ذلك من تعاليم التوراة الأساسية، وكان ذلك تدينا بالنسبة لي. التدين من وجهة نظري ليس الذهاب إلى الكنيس، ولكنه متعلق بطريقة معاملة الناس. أنا لا أمارس اليهودية بأي شكل، وقد ساعد مجيئي إلى إسرائيل على القضاء على ممارستي لليهودية. لقد تعلمت أن كوني يهودية في دولة إسرائيل إنما يعني أن أكون صارمة، وأن أنفصل في الواقع عن كل التعاليم اليهودية الأساسية.

هنا الصدمة الأولى

أعتقد أن اتصالي الأوّلي بالمجتمع الإسرائيلي اليهودي كان نوعا من الإغاثة، بسبب الإحساس الهائل بالحرية من خلال وجودي هنا، وإدراكي أنني لم أعد أنتمي إلى أقلية. غمرني إحساس كبير بالقوة، وكيهودية، كما أظن، شعرت بذلك مع وصولي إلى إسرائيل، ومع انتهاء وجودي ضمن أقلية، ومع معرفتي أنني أنضم إلى مجتمع تم تصميمه لصالح حاجاتي. على أية حال، بدأت أشعر بوجود شيء مفقود في المجتمع الإسرائيلي اليهودي على كل المستويات، وبأنني بطريقة ما أصبحت مقطوعة الصلة بتعاليم اليهودية. يحلو للمجتمع اليهودي الإسرائيلي أن يقدم نفسه باعتباره المكان الأكيد للشعب اليهودي، وعلى أن هذا هو المكان الذي يجب أن نكون فيه، وأن هذا هو الوضع الذي يجب أن يكون عليه. وقد وجدت أن ذلك غير مرتبط بشكل كبير بالقضايا الواقعية للمجتمع، خاصة في صلته مع الأقلية العربية. كان صدمة بالنسبة لي أن أكتشف أن العرب هنا في إسرائيل يعيشون في أوضاع تشبه ما كان عليه السود في جنوب إفريقيا. وقد أخذت أشعر بأنه كلما ازدادت صلتي بالمجتمع الإسرائيلي، كلما ازداد إدراكي لحقيقة الواقع هنا، وكلما ازداد اتساع المسافة بيني وبين زملائي اليهود. وبالرغم من أنني أقيم صلات مع المنضوين تحت ما يسمى جماعات الجناح اليساري، وجماعات السلام، وجماعات التعايش، إلا أنني شعرت بفجوة كبيرة بين الكلمات التي تخرج من أفواههم وتفاعلهم مع الواقع وتقبله. لذلك وجدت نفسي بعيدة عنهم،

لقد صدمت هنا بشكل قوي من ما يسمى قوى اليسار الاسرائيلي الصهيوني لأنهم أناس على مستوى عال من الذكاء، والتعليم، ويعتبرون أنفسهم يساريين تماما بالمقاييس الإسرائيلية، وجزءا من دائرة العملية السلمية، لكنهم يستمرون في الشكوى من العرب الذين يرون أنفسهم ضحايا هنا، ولا يرضيهم شيء. وقد استطعت أن أفهم أن ذلك بسبب وجود فجوة واسعة في ثقافتهم؛ إنهم لا يفهمون الطرق التي تجعل بها الدولة التمييز شرعيا هنا ضد الأقلية.

بسبب وجود شيء غير متوافق. كانت الكلمات تخرج من أفواههم، بينما يكون فهم الواقع والقدرة على الاعتراف به وعمل شيء يتعلق به أمرا لا يتطابق مع هذه الكلمات.

الصهيونية شديدة الخصوصية لليهود، وتدفع بواسطة الهوية، وهي متجذّرة في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود، وفي معاناتهم، بدلا من أن يرى اليهود أنفسهم مواطنين في العالم، قادرين على المساهمة الإنسانية في المجتمع الذي يعيشون فيه. إنها قائمة على الخصوصية التي يمارسها اليهود هنا داخل الدولة، والتي يخرج التمييز منها، لأنك عندما تعيش بشكل خاص، وتصنف نفسك كشخص خاص، يستحق معاملة مختلفة عن كل المجموعات الأخرى، تفقد القدرة على التعاطف والتسامح تجاه الناس الآخرين في المجموعات العرقية الأخرى. هذا ما يحدث انهيارا في المجتمع اليهودي. لقد بدأت أدرك أن ما نفعله في الواقع هو أننا ندمر أنفسنا، لأننا نجعل أنفسنا مختارين، ونركز كليا على تاريخ بقائنا، لدرجة أننا نتحول إلى الانقطاع الكلي عن فهم فكرة أن الكائنات الإنسانية، حتى تحرز تقدما في المجتمع المتمدن، عليها أن تتفاعل مع بعضها، وأن تكتسب المعرفة من الآخر، وهذا بكامله ما لا تعمل دولة إسرائيل اليهودية على تعزيزه، كل ذلك بالاستناد إلى الصهيونية السياسية الخاصة.

لقد صدمت هنا بشكل قوي من ما يسمى قوى اليسار الاسرائيلي الصهيوني لأنهم أناس على مستوى عال من الذكاء، والتعليم، ويعتبرون أنفسهم يساريين تماما بالمقاييس الإسرائيلية، وجزءا من دائرة العملية السلمية، لكنهم يستمرون في الشكوى من العرب الذين يرون أنفسهم ضحايا هنا، ولا يرضيهم شيء. وقد استطعت أن أفهم أن ذلك بسبب وجود فجوة واسعة في ثقافتهم؛ إنهم لا يفهمون الطرق التي تجعل بها الدولة التمييز شرعيا هنا ضد الأقلية.

وعندما أفسر لهم ذلك، أقول: عليكم أن تحاولوا وضع أنفسكم في الحالة ذاتها، وأن تقولوا إن الأقلية هي أنتم، ألا تتصورون أن ذلك يذكركم بهروبنا من أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية؟ مع ذلك، نحن نتصرف بالسياسات ذاتها ضد الأقليات هنا. وهم يحسون بصدمة كبيرة تجاه ذلك. إنهم لا يفهمون أنهم شرّعوا التمييز، وأنه يناسبهم أن يبقوه كذلك. عندما تجعل التمييز شرعيا لا تستمر في القول إن العرب ضحايا.

خطر أكبر على الأبواب

أنا متشائمة إلى حد كبير. في خلال السنوات الخمس عشرة القادمة، وربما العشرين سنسير في اتجاه المزيد من التمييز في كل مجالات الحياة ضد الأقلية الفلسطينية هنا. أعتقد أنه، مع وجود انهيار في الحالة الاقتصادية، فإن ذلك سيجعل الحياة أصعب بالنسبة للعرب. كما أعتقد أن اقتران التمييز بالحالة الاقتصادية سيكون خميرة لانتفاضة جديدة في النهاية، بسبب الجوع، ونقص الثقة في المستقبل، لأن الشباب الذين لا تحركهم الدوافع السياسية سيتحركون، وسوف يكونون مضطرين لذلك، حتى يستطيعوا البقاء هنا. وسوف يخلق ذلك قلقا شديدا: لا مساكن، لا أراضي، لا وظائف. والناس الذين يلتحقون بالجامعة للحصول على شهادة لن يكون أمامهم طريق لاستخدامها. أعتقد أن ذلك كله، مقرونا بالتمييز ضد اليهود الشرقيين، سيكون خميرة للرزمة ذاتها في ذلك القطاع من المجتمع اليهودي هنا، وستنفجر الرزمة كلها آخر الأمر. لكني أعتقد أيضا أن الحكومة ستضغط أيضا على اليهود الذين يتجرأون على انتقاد النظام والحكومة. إنني ألاحظ تحركا أوسع في اتجاه جنوب إفريقيا، خاصة نحو مركز فترة الفصل العنصري، حينما كان الأشخاص الذين ينتقدون الحكومة وسياساتها يخاطرون بحياتهم

هناك خطر حقيقي بأن يسيطر على الحكم في اسرائيل عناصر اليمين المتطرف، وليس لديّ أدنى شك في أن الحالة هنا سوف تتدهور، على كل المستويات، بما في ذلك إسكات المثقفين، وكل صوت يصدر عن المجتمع يحاول الحديث عما يجري هنا. نشرت مؤخرا مقالة في صحيفة "هآرتس" قال فيها أحد أعضاء الكنيست إن الناس الذين يتحدثون ضد الحكومة الإسرائيلية يجب أن يتحملوا مسؤولية أقوالهم. ويمكن القول إن في هذا تحذيرا لنا جميعا، نحن الذين نطوف العالم ونتحدث عما يجري هنا بأن علينا أن نكون أكثر وعيا بما تعنيه كلماتنا بالضبط وأن نتحمل المسؤولية عنها.

كل يوم، بسبب ما يؤمنون به، وأنا أعتقد أن ذلك سيصل إلى هنا.

هناك خطر حقيقي بأن يسيطر على الحكم في اسرائيل عناصر اليمين المتطرف، وليس لديّ أدنى شك في أن الحالة هنا سوف تتدهور، على كل المستويات، بما في ذلك إسكات المثقفين، وكل صوت يصدر عن المجتمع يحاول الحديث عما يجري هنا. نشرت مؤخرا مقالة في صحيفة "هآرتس" قال فيها أحد أعضاء الكنيست إن الناس الذين يتحدثون ضد الحكومة الإسرائيلية يجب أن يتحملوا مسؤولية أقوالهم. ويمكن القول إن في هذا تحذيرا لنا جميعا، نحن الذين نطوف العالم ونتحدث عما يجري هنا بأن علينا أن نكون أكثر وعيا بما تعنيه كلماتنا بالضبط وأن نتحمل المسؤولية عنها. هل يعني هذا أن أستنتج من هذا التصريح، أنني بعد أن أذهب في الأسبوع المقبل إلى معرض إيدنبيرغ للكتاب، حيث تجرى لي مقابلة، لأتحدث عما يحدث هنا، سيتم اعتقالي بمجرد عودتي إلى البلاد، وسأتحمل مسؤولية نقدي للدولة؟ هل يفترض أن تكون هذه هي طريقة اختبار إخلاصي كمواطن هنا؟ لأنه إذا كان اختبار ولائي هنا سيتم من خلال ضرورة أن أغلق فمي حتى أحتفظ بحريتي، فأنا آسفة، لكني لست جاهزة لإغلاق فمي حتى وإن قاد ذلك إلى الحجز الإداري.

الاحتلال ليس هنا !!

السلوك الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين يقع في منطقتين منفصلتين: هناك إسرائيليون يسهل عليهم أن يكونوا إلى جانب الفلسطينيين وضد الاحتلال لأن الاحتلال ليس هنا، بل هو هناك، وبعيد عنهم. كأن الاحتلال في بلاد أخرى، ولا يؤثر في حياتك المباشرة لأن بإمكانك أن تستمر في أنماط هذه الحياة، دون أن تتأثر به واقعيا، وأنت تستطيع دائما أن تضعه، داخل رأسك، في مكان آخر، ويمكنك أن تقول: أنا مع الفلسطينيين. أنا ضد الاحتلال تماما. هذا أمر، ولكن حين يتعلق ذلك بالنظرة الواقعية إلى الأقلية الفلسطينية داخل الدولة، التي يفترض أن يكون بينك وبينها تفاعل، فإن الأمر يختلف، لأن ذلك يعني أن تتفحص مجتمعك الخاص، ودورك في مجتمعك الخاص، وهو ما لا يرغب معظم الإسرائيليين في عمله، لأنه مزعج، ويولد الشعور بعدم الأمان.

هناك تجاهل للآخر، وما أقوله هو، كما ترى، أنني واحدة من كثير من اليهود الإسرائيليين الذين يرفعون أصواتهم ضد سياسات الحكومة، عندما يتعلق الأمر بالضفة الغربية. إن أصواتنا ترتفع بجرأة كبيرة، حتى ونحن نخاطر بأن نعتقل، لكن الأمر، حين يتعلق بالفلسطينيين هنا، داخل الدولة، فإن معظمهم يغلق عقله. لقد تحدثت إليك عن الفجوة الواسعة في التعليم. أنا أفهم أنه في تعليم الأطفال اليهود، كل الأطفال، ولكن على وجه الخصوص في الدروس حول المواطنة داخل المدارس، من الضروري التحدث عن الواقع الحقيقي، ووضعهم داخل الحالة التي يجب أن يتفاعلوا فيها مع الأقلية الفلسطينية داخل الدولة، بطريقة تقوم على حقائق واقعية.

الفلسطينيون داخل إسرائيل لم ينجحوا بعد في شرح التمييز الذي يتعرضون له أمام العالم الخارجي، من داخل الدولة، وهي منطقة جديدة كليا، لكني أعتقد أن تأثير انتفاضة ٢٠٠٠، أو الحالة الحقيقية لما يحدث هنا، هو في الغالب غير معروف للعالم الخارجي، وأعتقد أن الناس خدعوا بالدعاية الصهيونية حول أعجوبة خلق دولة إسرائيل، وحالة فن التكنولوجيا هنا، وكل التطوير المزعوم حول الفوائد التي حملها المهاجرون اليهود إلى هذه المنطقة، والقول بأنهم حدَّثوا العرب، وغير ذلك. لقد أغلق ذلك كليا على الواقع الحقيقي الذي يحدث هنا. بينما في الضفة الغربية، ورغم كل المعاناة التي لا يمكن أن توصف بالكلمات، يبقى الناس مواطنين هناك على الأقل. وعندما أناقش مثل هذا الأمر مع سعيد زيداني على سبيل المثال، فإنه يقول لي باستمرار:

الفلسطينيون داخل إسرائيل لم ينجحوا بعد في شرح التمييز الذي يتعرضون له أمام العالم الخارجي، من داخل الدولة، وهي منطقة جديدة كليا، لكني أعتقد أن تأثير انتفاضة ٢٠٠٠، أو الحالة الحقيقية لما يحدث هنا، هو في الغالب غير معروف للعالم الخارجي، وأعتقد أن الناس خدعوا بالدعاية الصهيونية حول أعجوبة خلق دولة إسرائيل، وحالة فن التكنولوجيا هنا، وكل التطوير المزعوم حول الفوائد التي حملها المهاجرون اليهود إلى هذه المنطقة، والقول بأنهم حدَّثوا العرب، وغير ذلك.

" حسنا، أنا أعيش في رام الله، أنا أختار أن أعيش في رام الله، لأنني أكون في رام الله مواطنا كاملا على أقل تقدير، وإذا عدت، فأنا نصف مواطن " . وأنا أعتقد أن الفلسطينيين في الضفة الغربية حققوا نجاحا كبيرا في تعريف العالم بمعاناتهم.

أن تكون نصف مواطن

أعتقد أن أكثر ما أزعجني فيما يتعلق باتصالي الأول مع المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، كان الاعتماد الكبير على " الحمولة " ، وهو ما فتح عينيّ على طريقة كاملة جديدة للحياة، وعلى مفهوم جديد كامل، خاصة وأنني كنت منخرطة في مجتمع طمرة من خلال عملي في " مهباخ\انقلاب " ، كما أنني كنت هناك في فترة الانتخابات البلدية. إذا افترضنا أن شخصا من حمولة أخرى قادر على تغيير العملية التي تجري على أرض الواقع هنا في مجتمعنا، فسيكون ذلك بمثابة معجزة. منذ ذلك الوقت تعلمت أنه لا توجد حمولة هنا في طمرة، أو في أية بلدة عربية، يمكنها تغيير حقيقة الواقع، لأن الأقلية العربية محصورة في إطار السياسات الحكومية، وهي سياسات ممزِّقة، تجعل من المستحيل على أي مجتمع أن يتصرف بعقلانية، وأن يجمع شتات نفسه. وأنا أعتقد أن هذه سياسة، وسياسة متعمدة من الدولة. ولذلك فإنني وأنا في طمرة، أعيش حياة عربية، وأستطيع أن أفترض أنني أقضي ٨٥٪ من حياتي بين العرب الآن. إنني أشعر كل الوقت بأنني جزء من مجتمع تم قلعه بعيدا عن جذوره. إنني أرى المجتمع وهو ينهار. أرى المخدرات تزداد، وقيم العائلة تنهار، وأرى زيادة في أهمية الإسلام والديانة. وأنا أفهم السبب، لأن الناس يحتاجون إلى شيء يتمسكون به. لذلك فإن كل ما لا ترغب الدولة في أن يحدث، مثل نهوض حماس، وأهمية الإسلام، هو الذي يحدث.

أستطيع أن أفهم من أين يأتي ذلك، ولماذا يحتاج الناس إلى ذلك . إن السبب هو أنهم لا يملكون ما يتمسكون به، لذلك، وفي الوقت الذي تتصور فيه الدولة أنها تجرد الناس من قوتهم المتمثلة بهذه الأمور، فإنها تقوم في الواقع بعمل كل شيء يشجع الناس على العودة إليها. إنه مجتمع ممزق يسير نحو الضياع.

الأمر الذي يصدمني هو غياب القدرة لدى أية هيئة في المجلس البلدي على الاتفاق، ولو على موضوع واحد، مع إن المشكلات شديدة الوضوح. هناك الكثير من منح الوظائف للأصدقاء، ولا يوجد ما يكفي لاختيار الناس طبقا لمؤهلاتهم وقدراتهم على التعامل مع الموضوع. هناك الكثير من الولاء في إطار الحمولة، لذلك فإن خدمة الحمولة تصبح أكثر أهمية من خدمة المجتمع، وهو أمر حقيقي تماما، وأراه مزعجا جدا.

أرى أن الشباب العرب هنا في الدولة، وخصوصا أولئك الذين استفادوا من التعليم الجيد، لن يقبلوا الرزمة التي قبلها آباؤهم. أعتقد أنهم بدأوا يفهمون أن صراعا عنيفا من المحتمل أن يكون أمامهم، أعني، أن هذا ما لم يقبله الناس هنا في الجانب الإسرائيلي حتى الآن. وما يجعل الأمر مختلفا عن جنوب إفريقيا والصراع داخل جنوب إفريقيا هو أن كل الصراع السياسي يورِّط في التضحية بالذات، وذلك يعني . المخاطرة، التي كان عدد قليل جدا من الناس مستعدين لركوبها حتى الآن. لكني أعتقد أن الجيل الأصغر، سوف يولد من خلال قوة وحشية، بسبب إدراكه أن كل الطرق مسدودة أمامه، وهو جيل لا يريد أفراده الهجرة، لأن هذه هي بلادهم، وهذا هو وطنهم، وهذا هو ميراثهم، وهم يريدون مواطنة متساوية هنا.

أكبر شيء تعلمته خلال حياتي في الوطن العربي، خاصة في العالم الإسلامي . الطريقة التي يرى بها الغرب هذا العالم الإسلامي. العالم الإسلامي ليس مغلقا وليس رافضا، العالم الإسلامي في

لا أملك جميع الأجوبة حول المستقبل، لكني أشعر بأنه سيحين الوقت الذي يستيقظ فيه المجتمع اليهودي على واقعه الصحيح، وهذا يعني التوصل إلى استنتاج أننا نعاني من الحالة الاقتصادية الضاغطة، وأن الحقيقة هي أن السياسي لن يكون هو الذي سيوقظ المجتمع اليهودي، بل الحالة الاقتصادية هي التي ستفعل، لأن هناك مبلغا ضخما من المال يصرف على تكاليف الحرب.

الواقع منفتح في مجمله، وهو يتقبل الأفكار الجديدة، وفيه عدد كبير من المعتدلين الذين بدأوا للتو يسمعون أصواتهم ويدفعون في اتجاه التغيير. صحيح أن الأمور تسير في بطء في العالم العربي، وأن الغرب يحب أن يراهم يتحركون، لكنهم يتحركون، وقد كان مفاجأة حقيقية بالنسبة لي أن أكتشف أن العرب منفتحون إلى هذا الحد على كل المستويات. للقاء أناس جدد، ومفاهيم جديدة، وطرق حياة جديدة، وتبادل للأفكار، واحترام الآخرين من ديانات مختلفة، وقد غيَّر ذلك وجهة نظري بشكل كامل حول العالم العربي، لدرجة أنني اخترت أن أجيء، وأن أؤسس حياتي في العالم العربي، كيهودية.

المعركة على التربية

ليس هناك أي شك في وجود حاجة إلى تغييرات مهمة يجب أن تحدث في المجتمعين، اليهودي والعربي، لكني أعتقد أن الجزء الأكبر من التغيير، يجب أن يأتي من الولايات المتحدة واليهود. وأنا أعرف أنني لست اليهودية الوحيدة هنا، التي ترى ما أرى، كما أنني لا أتوقع أن يعمد كل يهودي يفكر كما أفكر، إلى العيش في قرية عربية، فذلك ليس هو الجواب. الجواب هو أن على مزيد من اليهود الذين يملكون الوعي أن يكونوا مستعدين لكثير من الجرأة في الحديث عما يجري هنا، وهذا متعلق برفض التمييز في الحياة اليومية والفرص المتاحة. علينا أن ندفع، كما أعتقد، في اتجاه أن تحدث التغييرات الأساسية في شؤون التعليم، لأن هناك فجوة كبيرة في نظام التعليم. من هذا المنطلق، سيكون ممكنا تعليم التلاميذ اليهود والعرب معا، باستثناء من يرغبون في الالتحاق بالمدارس الدينية، ويبدو كمثال أن جعل اللغة العربية لغة إجبارية حتى الجامعة، وللجميع، قد يقطع طريقا طويلا تجاه كسر الحدود بين الشعبين، ويجعل اليهود يعيدون التفكير في نوعية المجتمع الذي نريده هنا، وكيف سيتعايش شعبان من عرقين مختلفين، ولهما طموحات مختلفة لاحتلال البقعة الجغرافية نفسها. وأنا لا أعتقد أن عددا كبيرا من اليهود يثير مثل هذه المواضيع حول نوع القيم التي يجب أن يمتلكها مجتمعنا، وحول الوجهة التي على البلاد أن تختارها. لا يوجد تماسك هنا، والمجتمع اليهودي مجزأ بشكل عشائري.

أعتقد أن على العرب أيضا أن يعمدوا إلى المزيد من الجرأة، وأن يميلوا بشكل أكبر لدعم اليهود الذين اختاروا الجرأة، والذين يعملون خارج محرمات مجتمعهم. إنهم لا يدركون ثمن ذلك، وليس هناك شك في ذهني أن اليهود والفلسطينيين داخل الدولة لم يتقبلوا الثمن الذي يدفعه اليهود من أمثالي حين يخرجون على مجتمعهم.

لا أملك جميع الأجوبة حول المستقبل، لكني أشعر بأنه سيحين الوقت الذي يستيقظ فيه المجتمع اليهودي على واقعه الصحيح، وهذا يعني التوصل إلى استنتاج أننا نعاني من الحالة الاقتصادية الضاغطة، وأن الحقيقة هي أن السياسي لن يكون هو الذي سيوقظ المجتمع اليهودي، بل الحالة الاقتصادية هي التي ستفعل، لأن هناك مبلغا ضخما من المال يصرف على تكاليف الحرب. الحرب تجعل الأفكار تمضي، وعلى الناس أن يدركوا أن سياسة الحرمان هذه لن تقود إلى أي وضع أفضل، وأن هناك غيابا مزعجا للاستقرار كل الوقت. لذلك، لن تملك أية إصلاحات سياسية في الواقع القدرة على التجذر. إن المجتمع في حالة ثابتة من التقلب. إنه يتجه نحو نقطة يصبح من الواجب عندها أن نقول بضرورة إصلاح نظام التصويت في الانتخابات بكامله في هذه البلاد. يجب أن تحظر على الناس إمكانية تشكيل حزب سياسي جديد فقط لأنهم لا يوافقون، فذلك يربك السكان، وينتهي بالمجتمع اليهودي إلى الضعف والتجزئة، مثل المجتمع العربي، لكنهم لا يرون ذلك، ولذلك يستمر اليمين في السيطرة هنا.

الموضوع مترجم عن الانجليزية